المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

مفهوم الاستعارة
عند علماء اللسانيات الإدراكية

The concept
of metaphor among cognitive linguists

إعداد

حسن بن عوض الشهري

مرحلة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية العلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز- المملكةُ العربيةُ السُّعُودية

العدد الثاني (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم الاستعارة عند علماء اللسانيات الإدراكية

حسن بن عوض الشهري

قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز- المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : hasan@yahoo.com

الملخص

اعتنى علماء اللسانيات الإدراكية بالاستعارة باعتبارها وسيلة تفكير، كما أنها ليست نتيجة عمليات النقل والاستبدال والافتراض كما كان ينظر إليها في الدراسات الأسلوبية التقليدية، وعليه فإن الاستعارة تتيح لنا فهم الأشياء وتجربتها انطلاقاً من شيء آخر. كما تبرز أهمية الاستعارة التصورية في قدرتها على الكشف عن العلاقات الكامنة في الألفاظ والتعبيرات، وتعليل التجربة الجسدية، وتوظيف الزمان، والمكان، والموجودات والمفاهيم والتصورات، والاتجاهات في تلمس جوانب المعنى. وفي هذه الورقة يقوم الباحث بدراسة الاستعارة من منظور علماء اللسانيات الإدراكية، وقد قسمتها إلى مدخل وأربعة مباحث وخاتمة، بحيث يركز المبحث الأول: على مفهوم الاستعارة عند علماء اللسانيات بشكل عام، بينما يعنى المبحث الثاني: بتحديد مفهوم الاستعارة لدى علماء اللسانيات الإدراكية، أما المبحث الثالث: فجاء لتبيان المبادئ التي قامت عليها الاستعارة التصورية، وجاء المبحث الأخير: لبيان تحقق الاستعارة خارج حدود الرمز اللغوي مع بيان للأمثلة المدعمة لذلك.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الاستعارة ، علماء اللسانيات ، اللسانيات الإدراكية .

The concept of metaphor among cognitive linguists

Hassan bin Awad Al Shehri
Department of Arabic Language and Literature - College of Human Sciences - King Abdulaziz University - Kingdom of Saudi Arabia .
Email: hasan@yahoo.com

Abstract

Cognitive linguists have taken care of metaphor as a way of thinking, and it is also not the result of transfer, substitution and assumption processes as it was considered in traditional stylistic studies, and therefore metaphor allows us to understand and experience things from something else. The importance of the figurative metaphor is also highlighted in its ability to reveal the relationships inherent in words and expressions, explain physical experience, employ time, space, assets, concepts and perceptions, and trends in touching aspects of meaning. In this paper, the researcher studies metaphor from the perspective of cognitive linguists, and I have divided it into four sections and a conclusion, so that the first section focuses on the concept of metaphor among linguists in general, while the second section is concerned with defining the concept of metaphor among cognitive linguists, and the third Research came to demonstrate the principles on which the conceptual metaphor was based, and the last section came to demonstrate the realization of metaphor outside the boundaries of the linguistic code with a statement of supporting examples.

Keywords: the concept of metaphor, linguists, cognitive linguistics.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

شغل مفهوم الاستعارة مساحات لا بأس بها من دراسات الفلاسفة واللغويين والمفكرين منذ عصور متقدمة وحتى يومنا هذا، وقد نتج عن تلك الدراسات نظريات متعددة تتفق فيما بينها حيناً، وتتعارض حيناً آخر، وذلك بحسب المنطلقات الفكرية والفلسفية التي ينطلق منها كل فريق. فبينا ينظر لها كثيرون باعتبارها تمرداً على اللغة، وظاهرة ترزح تحت وطأة التكلف والتصنع، وأداة تعمل لخرق العلاقات المنطقية بين الكلمات(١)، ينظر إليها البعض الآخر باعتبارها آية العبقرية، وقوة تعمل على توحيد الأفكار والربط بينها عن طريق الخيال، كما أنها قلب للغة، وأداة يستعان بها لفهم العالم عن طريق ضم المتماثلات وتجميعها كما تجمع العدسة ضوء الشمس، وهي

١) ينظر في ذلك عبد الله الحراصي. دراسات في الاستعارة المفهومية (مؤسسة عمان للصحافة والنشر-٢٠٠٢م) ط١، ص١٦، ومن أهم من نظر إلى الاستعارات باعتبارها قدرة على إدارك المتماثلات أرشيبالد مركيش، ينظر أرشيبالد مركيش، الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى الجيوسي (مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر – بيروت- ١٩٦٣م) ط١، ص ٨٥. وقد سبق إلى ذلك أرسطو في كتابه: فن الخطابة، حيث يرى أن الاستعارة لا بد أن تكون قائمة على التناسب، ينظر أرسطو طاليس: فن الخطابة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، (دار القلم، بيروت،١٩٧٩م)، ص.٢٢٤. كما سار الأسلوبيون العرب على المبدأ ذاته، ولخصه علي بن عبد العزيز الجرجاني بقوله: " إنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجلعت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه" ينظر علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي (مطبعة عيسى البابي-١٩٦٦م) ص ٥٣-٥٤ .

إضافة إلى كل ما سبق وسيلة لا غنى عنها لإثراء المعجم وتوسيع اللغة، بل وأكثر من ذلك أداة لتفسير حدوث بعض الأمراض كالحبسة اللغوية([1]).

وإضافة لكل تلك التباينات الصادرة عن مشارب ثقافية مختلفة نجد أن الاستعارة تعمل وفق ثنائيات متوارثة لدى الأجيال العلمية المتعاقبة على الدرس الاستعاري، ومن أهم تلك الثنائيات التي تجاذبت الاستعارة: ثنائية الحقيقة والمجاز، واللفظ والمعنى، والشعر والنثر، والأصل والفرع. وقد سَوَّق لكل ذلك تلك النظرة الصارمة التي تجعل من الاستعارة ترفاً وتقابلاً وشكلاً يمكن الاستغناء عنه أثناء عملية الخطاب. وقد نتج عن تلك الثنائيات ظهور العديد من المبادئ الشارحة والمفسرة لتأسيس الاستعارة، ومن بين تلك المبادئ الفاعلة مبدئي الإعارة والاستبدال، وهما من المبادئ القديمة التي تبناهما أرسطو ودرج على نهجمهما الأسلوبيون العرب من أمثال عبد القاهر الجرجاني، وابن طباطبا العلوي، والآمدي، والعسكري.

وما يعطي الاستعارة تلك الأهمية من بين الظواهر اللغوية الأخرى ذلك التنوع في المبادئ والنظريات التي ساقها العلماء لتبرير عملها وكيفية تأسيسها، فبالإضافة إلى مبدئي الإعارة والاستبدال السابق ذكرهما تظهر العديد من المبادئ الشارحة لعملها كمبادئ الملاءمة والاتساق والترابط والتجربة والانزياح والانزلاق، كما تظهر العديد من النظريات كنظريات التفاعل بين المجالات، والإسقاط الاستعاري، وخطاطات الصورة، ودلالة

---

١) ينظر في ذلك هوكس: الاستعارة، ترجمة: عمرو زكريا (المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦م) ط١، ص ٢٣، كما ينظر في دور الاستعارة في تفسير ظاهرة الحبسة رومان جاكبسون رومان جاكبسون، هالة موريس، أساسيات اللغة، ترجمة سعيد الغانمي (المركز الثقافي العربي-٢٠٠٨م) ط١، ص٢٥.

الأطر، ومبدأ التفاعل بين المجالات، ومبدأ التنافر بين المجالات، ومبدأ التصورات وهو ما سيتم التعرض له في ثنايا هذا البحث([1]).

وإن كان من شيء يحمد لتلك الدراسات فإنه يتجلى في قدرتها على المراجعات العلمية، وكفاءتها في توسيع القوانين التي تشرح لنا عمل الاستعارة، وطرق تأسيسها، وبيان ماهيتها. وقد أدى كل ذلك إلى إحداث تآزر فيما بينها وإن بدا في ظاهره تبايناً صارخاً؛ وذلك أن تلك التباينات أسهمت في إحداث ثورات معرفية دفعت بالباحثين إلى عدم الركون إلى رأي بعينه، وهذا في حد ذاته ثمرة لا يستهان بها في مجال البحث العلمي. وقد أسهم كل ذلك التنوع في الدرس الاستعاري إلى تكتل ثروة معرفية استفاد منها أصحاب النظرية التفاعلية أثناء دراستهم للاستعارة، مما سهل لهم استثمار جميع ما سبقهم من دراسات ونظريات ومبادئ وصهرها في نظرية واحدة تحت مفهوم (الاستعارة التصورية) وهو مادة هذه الورقة العلمية، والهدف الذي من أجله كتبت هذه المقدمة.

---

١) تنجرد كل نظرية ومبدأ تحت عدد من المدارس اللغوية والأسلوبية، فالذوق والملاءمة والاتساق من أهم المبادئ التي اعتنقها أرسطو والأسلوبيون العرب، ينظر: فن الخطابة، ص ٢٢٥، كما ينظر في مبادئ خطاطات الصورة والإسقاط الاستعاري والتجربة ونظرية دلالة الأطر جاك موشلر-آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين (دار سيناترا-تونس-٢٠١٠م) ص٣٨. وعبد العزيز لحويدق: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف (كنور المعرفة، ٢٠٥-١٤٣٦هـ) ط١، ص ٢٤٥.

مدخل:

تطورت الدراسات اللسانية من حيث تناولها لمفهوم الاستعارة، بداية بآراء (دي سوسير) والمدارس اللسانية المتأثرة بجهوده، وانتهاء بمقاربات علماء اللسانيات الإدراكية وأصحاب النظرية التصورية على يد جورج لاكوف، ومارك جونسون. في كتابهما الموسوم (الاستعارات التي نحيا بها). وفي الأسطر التالية تعريج على أهم ما طرأ على مفهوم الاستعارة لدى علماء اللسانيات، وجهود علماء اللسانيات الإدراكية في دراستهم لها بطريقة مغايرة لما اعتاد عليه الأسلوبيون واللسانيون، ومن ثم الخروج بنتائج يمكن الاستفادة منها في عدد من الميادين اللغوية والنفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية إلى غير ذلك من ميادين العلم المختلفة. وفيما يلي عرض لأبرز تلك الدراسات.

المبحث الأول: مفهوم الاستعارة عند اللسانيين.

ساهمت جهود (دي سوسير) اللسانية في تغيير الفكر اللساني ودفعه باتجاه البنيوية التي تدرس اللغة من داخل اللغة ولذاتها(١) وقد تكللت تلك الجهود بظهور عدد من المدارس اللسانية التي أسهمت بدور كبير في دراسة الاستعارة من منظور لساني، وعليه فإن دراستهم لها قد اختلفت باختلاف تلك المدارس وبطريقة معالجتها لمفهوم الاستعارة، ووسائل تحليلها وكيفية تأسيسها. وقد ظهر نتيجة لذلك منهجان كبيران: أولهما التحليل البنيوي، وثانيهما التحليل التداولي، وفي التحليل البنيوي تقع الاستعارة تحت تأثير نظريات المعرفة التي تنظر إلى الكون من زوايا متباينة، فمثالية سقراط وأفلاطون تعني بالضرورة مجازية اللغة، وما نراه ما هو إلا ظلال الأشياء، فثمة نماذج أصيلة تدرك بالبصيرة، وعالماً منظوراً يدرك بالباصرة، وبناء على ذلك فما تدركه الباصرة ما هو إلا مجاز ومحولات للاقتراب من عالم المثل المتكامل. أما واقعية أرسطو فتتعامل مع اللغة باعتبارها محاكاة للأشياء المنظورة، وتنظر إلى المجاز باعتباره فرعاً من اللغة يمكن الاستغناء عنه، وهو في أفضل أحواله أداة يستعان بها في تجويد الخطاب(٢). كل هذه الجهود عمقت في الفكر اللغوي والفلسفي في – بعض مراحله – استقلال الاستعارة باعتبارها ترفاً لغوياً، وقدرة ينهض بها بعض المبدعين دون البعض الآخر. وهذا ما جعل بعض المفكرين يجدّون في

---

١) ينظر دي سوسير، فصول في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة (الدار العربية للكتاب–١٩٨٥م) ط١، ص ١٢.

٢) ينظر: فن الشعر، أرسطو. فن الشعر، ترجمة: إبراهيم حمادة (مكتبة الأنجلو المصرية). ص ١٩٢.

محاربتها لكونها أضعف من أن تكون حاملة للعلم مما دفع (غاستون باشلار) للقول بتعارض العقل العلمي مع الصور والاستعارات.([1])

كل ذلك وأكثر دفع باللسانيين إلى النظر إلى اللغة باعتبارها قسيمة للفكر، وليست وسيلة تعبير كما كان ينظر إليها سابقاً، ومن ثم النظر إلى الاستعارة على أنها جزء لا يتجزأ من اللغة، فكلما حاول المتحدث الانعتاق عنها تحدث بها وذلك أنه" على الرغم من تظاهرنا بتجنب الاستعارة فإننا نفعل ذلك عن طريق كشفها فقط ... وكلما مضينا في التجريد أكثر ازداد تفكيرنا اعتمادا على الاستعارة"([2])

لقد مهدت دراسات (سوسير) إلى إحداث نقلة كبيرة في الفكر اللغوي القائم حينها على النظرية المعيارية، وقد نتج عن ذلك عدة دراسات تعنى بالجانب الدلالي للغة على وجه العموم، وبالاستعارة على وجه الخصوص فالاستعارة ليست محسناً بلاغياً بقدر ماهي أداة من أدوات فهم الخطاب حيث يمكننا " رؤيته من خلال خطين دلاليين مختلفين، فقد يقود موضوع إلى موضوع آخر من خلال التشابه أو التجارب، وتعد الاستعارة أكثر التعبيرات المناسبة للحالة الأولى التشابه"([3]) ومقاربة (جاكبسون) على سبيل المثال ترى أن الاستعارة تنطلق من مبدئين أصيلين في اللسانيات البنيوية هما: المحور التأليفي، وفيه يتم إنتاج اللغة وفق مجموعة من العلاقات التأليفية

---

١) ينظر: بول ريكور، الاستعارة الحية، ترجمة: محمد الولي (دار الكتاب الجديدة المتحدة-٢٠١٦م) ط١، ص ١٤

٢) أ. ريتشارد: فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي، وناصر حلاوي، ط١(الدار البيضاء-أفريقيا للشرق، ٢٠٠٢)، ص٩٤.

٣) ينظر: إيلينيا سمينيو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة: عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، (مصر-المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣) ط١، ص ٥٢

التي تنتظم في تركيب ما، والمحور الاستبدالي: حيث يتم استبدال كلمة من النظام التأليفي بكلمة أخرى([١]).

وبناء على ما تقدم فإن مفهوم الاستعارة عنده " هي إسقاط عملية استبدالية على المحور اللفظي انطلاقا من مبدأ المشابهة"([٢]). على أن النظرية الأكثر تألقاً في مقاربات (جاكبسون) تكمن في تتبعه للاستعارات غير اللفظية والماثلة في الأفلام السينمائية، والرسم السريالي، وفي حالات تكثيف الصور في الأحلام ([٣])، وقد أشرت في مبحث الاستعارات القطرية كيف تسهم حركات الجسد في تجسيد بعض الاستعارات، فربط الساق وضمها إلى الفخذ سلوك بشري يقوم في الأصل على فكرة الاستعارة والتشبه بالجمل المقيد والعاجز عن الحركة، ولا يمكن أن نفصل بين الاستعارة اللغوية والسيميولجيا لكونهما وجهان لعملة واحدة، فما يعبر عنه لغوياً، يعبر عنه أيضاً في علم العلامات بذات الدلالة، وبحسب (رولان بارت) فإن" السيميلوجيا لا يمكن أن تكون قط دراسة لما وراء اللغة"([٤])

أما جان كوهن فيستعين بأداة قياس المنافرة بين طرفي الاستعارة بحيث تقيس هذه الأداة جوانب الاتفاق والاختلاف في طرفي الاستعارة فتقوم

---

١) رومان جاكبسون، هالة موريس، أساسيات اللغة، ترجمة: سعيد الغانمي (المركز الثقافي العربي-٢٠٠٨م) ط١، ص

٢) ينظر: عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف (كنور المعرفة، ٢٠٥-١٤٣٦هـ) – مرجع سابق، ص٨١

٣) ينظر: رولان بارت: مبادئ في علم الدلالة، ترجمة: محمد البكري (دار الحوار للنشر والتوزيع – اللاذقية- ١٩٨٧م) ط٣، ٩٤.

٤) رولان بارت: درس السيميلوجيا، ترجمة: عبد السلان بنعبد العالي (دار توبقال للنشر- الدار البيضاء- ١٩٩٣م) ط٣، ص٢٤.

بتجميع جوانب الاتفاق ونفي جوانب الاختلاف وهو ما يطلق عليه السمات الدلالية المشتركة بين الدال والمدلول ([1])، وما وصل إليه هو ذاته ما قرره البلاغيون والأصوليون سابقاً حيث أكدوا في أكثر من موضع على أهمية وضوح المعنى في الاستعارة وذلك لهدف تحقيق شرط التفاهم وتجنب الغموض فاشترطوا في صحة الاستعارة الاشتراك في المعنى المشهور في محل الحقيقة وهذا الشرط يجعل استعارة الشجاعة للأسد صحيحة، بينما استعارة الأبخر خاطئة لكونها السمة التمييزية الأقل ظهورا ([2]).

كما أسهم صنيع (ريتشارد) ومن حذا حذوه في دراسة الاستعارة خارج إطار اللغة في ظهور مدرسة تعالج الاستعارة داخل إطار التركيب، ومن ذلك ما قامت به (بروك روز) في مقاربتها للاستعارة، فهي عندها نتيجة لتفاعل الكلمات في تركيب ما تفاعلاً نحوياً مؤكدة " أن التركيبات النحوية تلعب دوراً في اللغة المجازية"([3])، ولعل أهم إضافة قدمتها (روز) في المفهوم الاستعاري هو تحديد العنصر الأكثر قيمة في الكلام، وهو ما تطلق عليه: (تداعي المعاني الاستعارية)([4]) فلو قلنا على سبيل المثال: طار الخبر، فإن كلمة (طار) هي العنصر الأكثر قيمة في الجملة النحوية، وذلك لما تحمله هذه الكلمة من معان مكثفة، وما يحدث تباعاً لها من تداع للأفكار والدلالات المتمثلة في الطائر والانقضاض وسرعة الوصول.

---

١) ينظر: جان كوهن بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي (دار توبقال للنشر-المغرب-١٩٨٦م) ط١، ص ١٢٢.

٢) ينظر: في ذلك: عبد الله بن قدامة: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه (مؤسسة الريان للطباعة والنشر-١٤٢٣هـ-٩ط٣، ج١، ص ٤٩٩، وأسرار البلاغة ص ١٣٢.

3) BROOKE-ROSE ,AGAMMAR OF METAPHOR, 3

٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٩.

وقريباً من عمل (روز) يدرس (ميشال لوغرين) الاستعارة من خلال التمييز بين استعارة الفعل والاسم والصفة بحيث تستند الاستعارة في الاسم إلى السمات الدلالية، وفي الفعل والصفة إلى السمات السياقية.([1])

أما جماعة (مو البلجيكية) فتنظر إلى الاستعارة باعتبارها تعديلاً للمضمون الدلالي للكلمة عن طريق زيادة السمات الدلالية وقدرة المخاطب على إدارك نقاط الاشتراك بين طرفي الاستعارة.([2]) ومهما تعددت تلك الإضافات حول مفهوم الاستعارة فهي في مجموعها إضافات شكلية قد سُبق إليها، كما أنها لم تحدث نقلة جوهرية في دراسة الاستعارة.

وعلى العموم فإن النظرة البنيوية تقسم الاستعارة إلى قسمين: فهي إما أن تكون قابلة للتفكيك البنيوي، والانقسام إلى عناصر تفكيكية بحيث تقوم بين عناصرها سمات مشتركة، وإما أن تكون عصية على التفكيك والتحليل وتعتمد اعتماداً كلياً على ذاتية المتلقي ونفسيته وثقافته ورؤيته.([3])، وهذه الاستعارة شديدة الغموض واسعة التأويل أفرزتها النظرة الرومانسية التي تتمحور حول الذات، بحيث تلغي العلاقة المنطقية بين الدال والمدلول.

أما التحليل الثاني فهو التحليل التداولي وفيه يمكن أن تدرس الاستعارة دراسة تداولية مستقية كثيراً من أفكارها من المقاربات السابقة، فالاستعارة عند التداوليين تتأثر بمؤثرات خارج حدود اللغة، حيث يتم

---

١) ينظر: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، ص ١٠٦، مع ملاحظة أن إخراج الاسم من السمات السياقية لا يستند إلى مبررات منطقية مهما اختلفت مدارس التقسيم للكلمة.

٢) ينظر: نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، ص١٥١.

٣) ينظر المرجع السابق ص ١٤٠

التركيز على العلاقات الاستعارية عند مستعملي اللغة ([1]) ومن هذا المستوى ناقش اللسانيون الاستعارة وأثرها في الحجاج؛ وذلك لأن:" أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج ..... إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي باعتبارها تناسباً مكثفاً ناتجاً عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له"([2]) وعلى الإجمال فإن الاستعارة في التحليل التداولي قد عولجت بشكل كبير خارج إطار اللغة، وذلك بالنظر إلى أحوال المتكلم والمخاطب، والافتراضات المسبقة، والإشاريات، والاستلزام الحواري، إلى غير تلك الأركان التي قررها أصحاب هذه المدرسة لتكون منطلقاً لهم في قراءة النص.

---

١) المرجع السابق، ص١٩٩

٢) نظريات الاستعارة الغربية، ص٢٤١.

المبحث الثاني: مفهوم الاستعارة عند علماء اللسانيات الإدراكية.

جاءت النظرية التصورية في أعقاب كثير من النظريات البلاغية واللسانية التي تطرقت لمفهوم الاستعارة. حيث وظفت هذه النظرية عددا لا بأس به من تلك النظريات وصهرتها في نظرية واحدة تعالج الاستعارة، وتفسرها وتؤسس لها، ومن تلك النظريات التي أشار إليها (لاكوف) و(جنسون) في مقدمة كتابهما (الاستعارات التي نحيا بها): النظرية البنائية لجان بياجيه، وتجارب (ي.س.شيانغ) y.C.Chiang حول التجربة الجسدية للإنسان، ونظريات الصدق، ونظرية دلالة الأطر لـ(فيلمور)([1]) إلى غير تلك النظريات التي تضافرت لتكون نظرية متكاملة. كما جاءت لتنقض عدداً لا بأس به من المفاهيم التي تكونت على مر عقود من الزمان، وترسخت عند كثير من البلاغيين واللسانيين حول مفهوم الاستعارة.

لقد جاءت النظرية التصورية داحضة لتلك النظرة التقليدية التي تزعم أن الاستعارة محسن لفظي أو معنوي يأتي به المتكلم طواعية واختياراً، بل هي عندهم كامنة في النسق التصوري عند الإنسان وهذا النسق مبين جزئياً بواسطتها([2])، وإذا لم تكن الاستعارة حدثاً كلامياً يؤتى به اختياراً فهي عند أصحاب هذه النظرية حدث جبري يظهر على شكل علامات، أو رموز، أو أيقونات فهي ليست" مظهراً لغوياً صرفاً، بل قد تكون مظهراً ثقافياً عاماً

---

١) ينظر: جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها-ترجمة عبد المجيد جحفة (دار توبقال للنشر-٢٠٠٩م) ط١، ص ٦.

٢) المرجع السابق، ص٦

تتأثر به اللغة كما تتأثر به سائر المظاهر الأخرى كالسلوكيات والأنشطة التي نباشرها"([1])

ولكي تتضح هذه العبارة فإن هذه النظرية تفسر كثيراً من أفعالنا من منظور الاستعارة التصورية، فعندما يتقدم القائد الجيوش فذلك مبني على استعارة تصورية اتجاهية مفادها (الأهم أمام) وتفسر هذه الاستعارة عدداً لابأس به من الرموز من مثل وضع الأوسمة على الصدر، ووضع الأشياء الثمينة أو الحامية على الرأس كالتيجان والمغافر لأن الأعلى في النسق التصوري البشري مناط الحياة والموت، وإذا شاهدنا مكتب المدير العام في الأدوار العليا من المبنى فذلك مبني على استعارة تصورية مفادها (الأفضل فوق)، وهكذا تأتي الاستعارة التصورية على هيئة ألفاظ أو تصرفات دون وعي منا بل إننا نحيا بها ونتمثلها ونعبر بها وعنها.

ومن أهم الأفكار التي نادت بها النظرية التصورية التأكيد على أن الاستعارة نتاج التفكير والأنشطة، وليس كما يعتقد سابقاً بأنها متعلقة بالخيال الشعري، والزخرف البلاغي. وإذا كانت كامنة في التفكير والسلوك المعتاد فهي حدث يومي لا يمكن الاستغناء عنه؛ لأن الاستعارة تتولد من نسقنا التصوري وهذا النسق في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية؛ وبالتالي فإن تفكيرنا وأفعالنا وأحاديثنا اليومية ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة، وعليه فإن هذه النظرية تُخرج عن دائرة أبحاثها ما أطلق عليه أصحاب هذه النظرية بـ (الاستعارات الفرادية) وهي التي" تبقى منعزلة ولا تستعمل بشكل نسقي في لغتنا أو فكرنا"([2])

---

١) الاستعارات التي نحيا بها، ص ٧٤.

٢) السابق ص ٩.

والاستعارة عند أصحاب النظرية التصورية غير متعلقة بالألفاظ بل تتعدى ذلك إلى الأنشطة الإنسانية الأخرى فهي عندهم ذات طابع فكري يؤتى بها لفهم مجال ما عن طريق مجال آخر ذي أساس تجريبي(١)، كأن يكون المجال المراد التعبير عنه مغرقاً في التجريد والعموم كالزمن الذي يتم التعبير عنه عن طريق مجال آخر أكثر وضوحاً كالمال مثلاً، وهنا " يكمن جوهر الاستعارة في كونها تتيح فهم شيء ما وتجربته أو معاناته عن طريق شيء آخر"(٢)

ولما كان المعنى من القضايا التي شغلت دارسي الاستعارة، فإن إدراكه عند أصحاب هذه النظرية يكون جشطلتيا كليا (٣)، ولكي نصل إلى مرحلة الفهم الدقيق فإن ذلك يستلزم مرورنا بسلسلة من العلاقات المترابطة من خلال علاقتنا المباشرة والمتصلة بالمحيط الخارجي باعتبار الإنسان جزءاً لا يتجزأ عنها، فنحيل إلى بنية الكيان لندرك ذواتنا عن طريقها، وبنية الاتجاه لأن ذواتنا هي من رسمت تلك الاتجاهات منطلقة من تجربتها الجسدية، ونستعين بالتجربة لكونها أداة معينة في تكامل الإدراك الكلي الجشطالتي(٤)

ومن أبرز ما ركزت عليه تلك النظرية إسقاط فكرة التشبيه المباشر والمقصود، فإذا قال أحدهم: لا تُضَيِّع وقتي. فهو أولاً لم يقصد إنشاء جملة

---

١) ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص١٤١، وبناء على ما سبق يمكن دراسة الاستعارة خارج الرمز اللغوي، فالأنشطة الإنسانية، ومظاهر الحضارة وسائل يستعان بها لاستشفاف الاستعارة، وهذا يعني بالضرورة انعدام الاعتباطية في الاستعارة، فالاستعارة غير اللغوية هي انعكاس حقيقي ومماثل للاستعارة اللغوية.

٢) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها، ص٢٣

٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٧٥.

٤) ينظر المرجع السابق، ص١٥٧

استعارية تقوم على فكرة التشابه بين أركان الاستعارة، كما أن المتحدث وقت إنشائه لتلك العبارة لن يدرك جوانب الاستعارة في هذه الجملة، ولن يدرك أوجه الشبه بين عناصرها، وهذا ما دفع (لاكوف) و(جنسون) إلى استخدام تعبير (نحيا بها) لإثبات كونها ممارسات يومية تصدر على هيئة ألفاظ أو أنشطة دون وعي بها.

ومن أهم ما يؤكد عليه أصحاب هذه النظرية حيال الاستعارة أنَّ تحققها يتحصل بعامل الخبرة سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة، وذلك عن طريق المجالات المفهومية بين مجالات (المصدر) المتمركزة غالباً على تجارب الخبرة الحسية، والمجالات (الهدف) المتمركزة غالباً على حقول الخبرة المجردة كالوقت والمشاعر والحياة والموت ([1]) كما يعرفون المجالات المجالات المفهومية باعتبارها" تمثلات ذهنية غنية باعتبارها شرائح من معارفنا القَبْلِيَّة التي ترتبط بخبرات أو ظواهر متعددة" ([2]).

وهذه الخبرات تتشكل عن طريق التجربة الجسدية؛ فالإنسان شديد التأثر بكل ما يحيط به؛ بحيث يكون تعبيره وتفكيره ناتجاً عنها، وهذه النتيجة مُسَلَّمٌ بها وليست بحاجة إلا إثباتات معقدة، يكفي لإثباتها تتبع السلوك اللغوي لمجتمع ما- العربية على سبيل المثال- لنجد أثر التجربة والحضارة ماثلاً في العلامات والرموز والأنشطة والأيقونات إلى غير ذلك. كما أن استعارة الوقت في المجتمع الرأسمالي تكاد تكون مفقودة في المجتمعات البدائية، وبالمقابل فإن استعارات الآلة والتقنية متلاشية في المجتمعات البدائية، ومتى ما قامت اللغة على تجربة غير معاشة بسبب

---

١) ينظر الاستعارة في الخطاب، ص٣٠

٢) الاستعارة في الخطاب، ص ٣٠

تقادم زمني أو انعطافات ثقافية أو لأي سبب كان فإنها تصبح محل انتقاد وسخرية، فليس من المقبول أن يعبر المتحدث عن شيء خارج حدود تجربته.

ومن القضايا الأساسية التي سعت النظرية التصورية لتحقيقها التأكيد على فكرة تأثير المجالات، والبحث في الأسباب التي تدعو منشئ الاستعارة لاختيار مجال دون غيره، وقد مثل (لاكوف) و(جنسون) لذلك بعدة أمثلة مبتدئين بمجال الجدال، وكيف أن المتجادلين ينحون دون وعي منهم لانتقاء استعاراتهم من مجال الحرب باعتبار" أن جزءاً كبيراً من الأشياء التي نقوم بها أثناء الجدال يبينها ويوضحها تصور الحرب، وإذا كنا لا نجد معركة مادية حقيقية، فإننا نجد معركة كلامية ... وبهذا المعنى تكون استعارة (الجدال / حرب) من بين الاستعارات الموجود في ثقافتنا"([1]).

ويفهم مما سبق أنه ينبغي التأكيد على أن الاستعارة التصورية ليست منفصمة عن تلك النظريات التي تعاقبت عليها الاستعارة؛ بل إنها جاءت مكملة لها مستفيدة منها ومضيفة عليها. فالقول بأن موقع الاستعارة محله الفكر هو قول مألوف في الفكر البلاغي واللساني عبر عنه (ريتشارد) في تعريفه للاستعارة بأنها" علاقات بين الأفكار"([2]) ويقول في موضع آخر" عندما نسأل كيف تعمل اللغة فإننا في الوقع نسأل كيف يعمل الفكر"([3])

بل إن عبارة (نحيا بها) التي ذيل بها (لاكوف) و(جنسون) كتابهما هي اقتباس مباشر من قول (ريتشارد) الذي جعل نقل" الاستعارة إلى

---

١) الاستعارات التي نحيا بها، ص:٢٢.

٢) فلسفة البلاغة، ص: ٩٦

٣) السابق، ص:٩٦

الآخرين عظيم لأنه في حقيقة الأمر الملكة التي نحيا بها"[1] كما أن معالجة الاستعارة في السلوك الكلامي اليومي البعيد عن اللغة الأدبية هو استكمال لما بدأ به (شارل بالي) و(ريفارتير) اللذان قَصَرا دراساتهما الأسلوبية على أحاديث الناس اليومية البعيدة عن اللغة الأدبية[2].

كما أن القول بالنسقية التصورية الكامنة في العقل البشري مما جاء به (ماكس بلاك) الذي يرى أن" التأويل الاستعاري لا ينفك عن تصورات الناس وتمثلاتهم، وفي ذلك يقول:" إذا أردنا معالجة دلالية للفظة الاستعارة، فعلينا مراعاة ظروف استعمالها، أو مراعاة الأفكار والأحداث والمشاعر عند مستعمل هذه اللفظة "[3] وإذا كانت التجربة الأساس الذي تصدر عنه الاستعارة في النظرية التصورية فهي مما سبق إليه كثير من الفلاسفة والمفكرين والنقاد؛ ذلك أن إدراك التجانس بين الأشياء ناتج عن قدرة الفرد على إدارك التماثلات والتباينات في هذا الكون الفسيح "[4] وما سبق ذكره ليس عيباً يضاف إلى هذه النظرية بقدر ما هو تسلسل منطقي لنشأة العلوم وتطورها كما عبر عن ذلك (توماس كون)[5]

---

١) فلسفة البلاغة ، ص:٩٦

٢) الاستعارة في الخطاب، ص:٧٨.

٣) ينظر: نظريات الاستعارة، ص:١٨٨.

٤) ينظر: أرشيبالد مركيش، الشعر والتجربة، ترجمة سلمى الجيوسي (مؤسسة فرنكلين للطابعة والنشر –بيروت–١٩٦٣م) ط١، ص ٨٥.

٥) توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال (عالم المعرفة–١٩٧٣م) ط١، ص١١.

بل يحمد لها أنها جمعتها تحت نظرية مترابطة متطورة، وإن كان ثمة من مآخذ فإنها تكمن في فصل اللغة عن الفكر بجعلها أثراً عنه وليست أساساً في تبلوره، وقد أثبتت التجارب أن فقدان اللغة يعني بالضرورة الاضطراب الفكري والعته (١) فهي الملكة التي تسير الإنسان وتوجه تصوراته وتجعله قادراً على التفكير.

ومن الإشكالات التي وقع فيها مُنَظِّرو هذه الاستعارة انعدام الخطوط الفاصلة بين التعبير اليومي العادي والتعبير الأدبي المقصود، حيث تقرر لديهم أن معالجة الاستعارة ستكون منحصرة في الكلام العادي- الأحاديث اليومية- بعيداً عن الاستعارات الإبداعية، حيث حادت عن الخط الذي انتهجته فعالجت بعض الاستعارات الإبداعية باعتبارها منضوية تحت النوع الأول.

ومن أمثلة ذلك تلك التعبيرات الاستعارية التي ساقها المؤلفان من مثل: صدئ عقله- أفكاره تناسلت- تذوقت الأفكار- معطيات يلوكها الناس- يقتاتون على فتات الأفكار-أفكار أنيقة-أفكاره تناسلت- أفكار حية-حبهم يحتضر-قرأ الخوف في عينيه-ابتلاع النظرية (٢) إلى غير تلك الأمثلة التي لا تصدر إلا عن حس أدبي رفيع ابتدعها وليست نتاج الأحاديث العادية اليومية، حتى وإن نطق بها بعضهم فهي اقتباس من مصدر أدبي صرف.

على أن هذا الإشكال قد يصبح ميزة ينافح بها أصحاب النظرية؛ وذلك لأن إنشاء الاستعارة والحكم عليها بأنها يومية أو إبداعية قد تختلف اختلافاً كبيراً من مجتمع لآخر، فيما قد تنظر ثقافة إلى تلك الاستعارات باعتبارها

---

١) ينظر: قضايا ألسنية تطبيقية دراسة لغوية اجتماعية، مرجع سابق، ص ٩١.

٢) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها ص ٤٩-٦٧-٧٢

إبداعية، بينما تنظر إليها ثقافة أخرى باعتبارها أحاديث يومية راسخة في النسق التصوري وليست من الاستعارات الإبداعية.

وإذا كانت الاستعارة قد عولجت سابقاً معالجات لغوية صرفة، فإنها في هذه النظرية قد خرجت إلى مجال أرحب حيث استعين بها في فهم سلوك المجتمعات، وتصوراتهم للمحسوسات والمجردات من حولهم، وطريقة تعاملهم معها، فالإحساس بالزمن على سبيل المثال يختلف اختلافا جذرياً من أمة إلى أخرى، وقد أشار (لاكوف) و(جنسون) إلى ذلك التباين الثقافي حيال نظرة المجتمعات له، فبينما تعيره أمة بالغ الاهتمام باعتباره مورداً ثميناً، نجد بعض الأمم لا تنظر إليه بذات النظرة ([1]).

وهكذا تساعدنا الاستعارة التصورية في الدراسات الأنثروبولوجية لمجتمع ما، أو للمقارنة بين مجتمعين متباينين للخروج بعدد من النتائج التي تفيد المشتغلين بالدرس اللساني والنفسي والاجتماعي إلى غير ذلك من المجالات المتسعة والمهمة، ومن أمثلة ذلك دراسة ليفين جو (Lifen Gao) في دراسته المقارنة للاستعارات التصورية في مجال الاقتصاد بين الإنجليزية والصينية، حيث خرج بعدد من التباينات الاستعارية بين هذين المجتمعين بسبب المعتقدات الدينية والثقافية والأنماط الاقتصادية والتنوعات الجغرافية، ومن أهم ما توصل إليه شيوع الاستعارات المنضوية تحت مجال الدين والزراعة في الثقافة الصينية، وقلتها في الثقافة الإنجليزية.([2])

---

١) ينظر في مفهوم الزمن وتباين الثقافات حياله: الاستعارات التي نحيا بها، ص٢٦.

٢) Lifen Gao. A Comparative Study of Conceptual Metaphors in English and Chinese

ولعل أبرز مأخذ على هذه النظرية هو ذلك الفصل بين اللغة والفكر، حيث يؤكد أصحاب هذه النظرية وفي أكثر من موضع على ذلك الفصل، ومن ذلك قولهم: " الاستعارة ليست مقتصرة على اللغة بل توجد في تفكيرنا"(١) ولم يقتصر ذلك الفصل على أصحاب النظرية بل تعداه إلى شراحها، فعبد العزيز لحويدق يرى أن الاستعارة " لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ، وإنما بالنسق التصوري"(٢) وهذا الفصل يحجم دور اللغة، ويحصر دورها في عمليات التواصل، وهذه النظرة التقليدية تجاه اللغة تتناسى مكانتها في كونها هي الأصل في عمليات الإدراك، وبدونها تتلاشى جميع المؤثرات، وتصبح عديمة التأثير.

١) الاستعارات التي نحيا بها، ص ٢١.

٢) نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، ص ٢٦٧.

المبحث الثالث:

مبادئ تأسيس الاستعارات التصورية عند علماء اللسانيات الإدراكية

تتأسس الاستعارة التصورية على عدد من المبادئ من أهمها مبدأ التفاعل بين المجالات، ومبدأ التجربة، ومبدأ الإسقاط الاستعاري، ومبدأ مخططات الصورة، وفي هذا المبحث سيعرض الباحث لأهم هذه المبادئ مبيناً أثرها في تأسيس الاستعارة التصورية، ومدعماً لذلك بأمثلة من ألفاظ الاقتصاد وعبارته قدر المستطاع. وفيما يلي عرض لأبرز تلك المبادئ.

١- مبدأ التفاعل بين المجالات.

تبين في الصفحات السابقة ذلك التباين بين المدارس اللسانية والأسلوبية في تبيان العلاقة بين أطراف الاستعارة، فإذا كانت النظريات القديمة تحصر تلك العلاقات على مستوى الكلمة، فإن تغيراً ملموساً بدأ يسيطر على الدرس اللساني والأسلوبي على حد سواء، بحيث يجعل العلاقة بين عناصر الاستعارة محكومة بنظرية التفاعل بين المجالات، وقد أدى ذلك إلى ظهور النظرية التفاعلية ابتداء من (ريتشارد) وانتهاء بـ(لاكوف) و(جنسون) في النظرية التصورية، ومن أبرز مسلماتها(١):

أ- الاستعارة لا تتعلق بكلمة واحدة بل تتجاوز ذلك إلى النص.

ب- للسياق دور بارز في تحديد المعنى.

ت- الاستعارة ليست مقصورة على مبدأ الاستبدال أو الإعارة، كما هو سائد في النظريات التقليدية القديمة، بل إنه نتيجة التفاعل بين المجالات الاستعارية: المجال / المصدر، والمجال / الهدف.

---

١) تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص ٨٦

ث- لا يمكن قصر الاستعارة على الأهداف الجمالية والبلاغية، بل هي حاضرة في اللغة والسلوك حضوراً معرفياً نحيا بها.

ويدخل في باب التفاعل بين المجالات ما يعرف بمصطلح التفاعل بين الاستعارات بحيث ينظر إلى الاستعارة تارة على أنها استعارة أنطولوجية أو استعارة بنيوية على حد سواء، وذلك بحسب الزاوية التي يُنظر إليها. فعند النظر على سبيل المثال إلى استعارة (دعم الاقتصاد) يمكن اعتبار هذه الاستعارة تارة على أنها أنطولوجية، وتارة على أنها بنيوية، فنقول بأنها أنطولوجية إذا نظرنا إلى كلمة (دعم) باعتبارها مأخوذة من حقل البناء القائم على الدعائم والأساسات والقواعد، وعليه نحكم على مصطلح دعم الاقتصاد بأنه مأخوذ من حقل البناء المتمثل في الاستعارة التالية (الاقتصاد بناء) ، كما يمكن أن نحكم عليها بأنها استعارة بنيوية وذلك إذا نظرنا إلى كلمة (دعم) من منظور حقل الحرب الذي يقتضي الدعم والإمداد والمساندة والانسحاب والتكتيك، إلى غير تلك الاستعارات المتخلقة من هذا المجال، ولا يمكن القطع بأن تلك الاستعارة بنيوية أو أنطولوجية لصعوبة ذلك، ويمكن الاستعانة بالتاريخ الشخصي والمهني والتاريخي لمنشئ الاستعارة لمعرفة ذلك.

أما عن القيمة التي تنطوي عليها تلك التفاعلات فتتمركز حول مبدأ التكامل في وصف الصورة.(١) ولتوضيح ذلك يمكن الاستعانة بالاستعارة الاقتصادية أنطولوجية كانت أم بنيوية أم اتجاهية لنرى عمق التكامل الدلالي، فاستعارة (التوسع الاقتصادي) -وهي استعارة بنيوية تنتمي إلى حقل الحرب-تنسجم مع استعارة (اقتصاد مبني على أسس متينة) وهي

١) ينظر: تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص ٥١.

استعارة أنطولوجية تنتمي إلى حقل البناء، كما تتفق مع استعارة (الاقتصاد القوي متقدم)، وهي استعارة اتجاهية، فالقوة في البناء تتسق مع القوة الحربية، ومن ثم التقدم وعدم التراجع، وهكذا نجد اتفاقاً واضحاً يسري على جميع الاستعارات، فالاقتصاد الرأسمالي للدول المتقدمة هو اقتصاد: متقدم، وصاعد، ومرتفع، وجميعها استعارات اتجاهية، كما أنه اقتصاد: قوي، وغير خاضع، وقوة قاهرة، وحر، ومغتصب، وجميعها استعارات بنيوية، وهو أيضا(قيادي، ومركزي، وصامد، ومتماسك). وجميعها استعارات أنطولوجية، وبجمع تلك الصفات (تقدمي-قوي-غير خاضع-صاعد-مرتفع-حر) لا نجد تعارضاً بين تلك المصطلحات الاقتصادية حتى وإن كانت تنتمي إلى استعارات مختلفة.

٢- مبدأ التجربة

في كتاب:(النظرية المعاصرة للاستعارة) يصور لنا (لاكوف) كيف نتصور الأشياء ونحكم عليها ونتعامل معها انطلاقاً من تجاربنا اليومية، وهذه التجربة هي التي تسهم بشكل رئيس في تشكيل نسقنا التصوري، وإصدار أحكامنا حيال الأشياء، والتعامل معها، والحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ فسلوكنا اليومي محكوم بطابع التجربة(١) وهذه التجربة هي التي تجعل التعبيرات متباينة من مجتمع لآخر بحسب تفاعلهم مع الموجودات، وتصورهم للمجردات، وينبني على ذلك نشوء استعارات قطرية، ومن ذلك كما يرى (لاكوف) استعارة الرحلة المتأصلة في المجتمع الغربي لذا نجدهم يعبرون عن الحب عن طريق مجال الرحلة، وفي ذلك يقول:" ثمة مبدأ

١) ينظر: جورج لاكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة طارق نعمان (مكتبة الإسكندرية - مصر- ٢٠١٤م) ط١، ص:٩.

عام...هو جزء من نسقنا التصوري المباطن للغة الإنجليزية، إنه مبدأ لفهم مجال الحب وفقا لمجال الرحلات"(١) ومن مسلمات النظرية التجريبية أن المعرفة لا تحدث إلا بتجربة الأشياء لمسها، والنظر إليها أو شمها أو سماعها إلى غير ذلك فالمعرفة لا تتأتى إلا بالإدراك الحسي، ولا تبنى إلا انطلاقاً من الإحساسات(٢)

كما أن التجربة عند أصحاب هذه النظرية لا تعني التجربة الفردية، بل تتجاوزها إلى المجموع الكلي للتجربة الإنسانية، بما في ذلك طبيعة أجسادنا وقدراتنا التي ورثناها وجميع أفعالنا في هذا العالم المادي، وتنميطنا الاجتماعي(٣). وهذه التجربة قد تكون ثقافية أو عاطفية أو فيزيائية. ففي التجربة الثقافية يكون الفرد محكوما بثقافة المجتمع الكلي، وقد أشارت كثير من الدراسات إلى استبعاد خروج الفرد عن دائرة التجربة الثقافية في مجتمعه، في حديثه، وسلوكه، وكل نشاطاته، وأن الخروج عن قواعد العقل الجمعي يعد شذوذاً يصعب عملية التواصل مع أفراد ذلك المجتمع، ونظراً لهذه الهيمنة التي أسس لها (سوسير) يشيع تساؤل مشروع مفاده: هل يمكن أن يأتي الشخص باستعارات خارجة عن التجارب الجمعية، والحياة الثقافية السائدة في مجتمعه؟

ومع صعوبة حدوث هذه القفزة إلا أن التاريخ يخبرنا عن إمكانية خروج الفرد عن ثقافة مجتمعه والانفصال عنها بسبب عوامل وقوى أكبر من قوة المجتمع، فرفض الأنبياء والملهمين والمصلحين للحالة الثقافية

---

١) الاستعارات التي نحيا بها، ص ١٣.

٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٨٢.

٣) الاستعارة والتجربة والعقل المتجسد، مرجع سابق، ص ٣٠.

الشائعة في مجتمعاتهم دليل على إمكانية الخروج عن الثقافة السائدة في مجتمعاتهم، وقريباً من ذلك ما أشارت إليه (إلينيا سيمينو) بقولها:" وترى (فريمان) أيضا أن (ديكنسن) قد رفضت استخدام الاستعارة الدينية التي كانت تسيطر على زمانها، وأقصد بها تلك الاستعارة التي تصور الحياة على أنها رحلة عبر الفضاء الرحب، وهذه الرحلة تنطوي على الحركة في طريق مستقيم يصل المرء في نهايتها إلى السماء"(١) وفي هذه الحالة تنتقل الاستعارة من كونها موضوعية محكومة بقواعد العقل الجمعي إلى ذاتية خارجة عن حدود الاستعارة التصورية.(٢)

والتجربة الثقافية ليست محصورة في مجتمع بأكمله بل قد تضيق فتنحصر في فئة بعينها تجمعهم الاهتمامات الشخصية المشتركة مثل مجتمع الأطباء على سبيل المثال فتشيع استعارات في مجال الجدال من مثل: (شرّحه) للإشارة إلى خلخلة أفكار الخصم، والغوص فيها لبيان مكامن الضعف فيها، واستعارة (بنّجه) للإشارة إلى الإفحام والتبكيت، وكذا الأمر عند مجتمع مهندسي السيارات حينما يعبرون عن ألفاظ الجدال استعارياً

---

١) الاستعارة في الخطاب، مرجع سابق، ص ١٤١.

٢) في أدبنا الشعبي أشير إلى تجربة الشاعر: سويلم العلي، وهو من أبناء البادية ورعاة الإبل، وذلك حينما جنح عن الاستعارة المتأصلة في العقل الجمعي الناشئ عن مجتمعه البدوي بكل مكوناته التاريخية والجغرافية ليستعين بتجربة صائد اللؤلؤ في تصوير آلام الحب بدلا من الاستعارة الثقافية السائدة في مجتمعه، حيث قام بتأسيس استعارة تمثيلية متخلقة من تجربة غير مألوفة لديه بمجرد سماع تفاصيلها دون معايشتها مما أحدث بلا شك عائقاً في فهم هذه الاستعارة عند أفراد المجتمع البدوي الذي يعيش فيه، ينظر في ذلك مدونة الدكتور: سعد الصويان على شبكة الإنترنت. مقالات صحفية في الأدب الشفهي، نظرة في قصيدة سويلم العلي.

فإنهم لا يستعملون استعارات (الجدال/الحرب) وعوضاً عن ذلك يستعينون باستعارة (الجدال / آلة) فتشيع استعارات دارجة من مثل: (حَلِّل صواميله) و(كَتِّم بلوفه) بمعنى غلبه في الحوار، إلى غير ذلك من الاستعارة الناشئة عن مجتمع ثقافي معين. ولكي ندرك تلك الاستعارات لا غنى عن دراسة الحالة الثقافية لذلك المجتمع المراد دراسته" فمن المهم أن نفهم الدور الذي أعطي للاستعارة في مجتمع يكاد يكون كله مسيحياً، وأن الإخفاق في هذا الفهم قد أدى بنا إلى سوء فهم بالغ في وقتنا الراهن"(١).

أما التجربة العاطفية فعلى النقيض من الاستعارة الثقافية، فهي استعارة ذاتية في غالبها، حيث تعبر عن حالة الفرد لا الجماعة. كما أنها تقوم بدور مهم في إنشاء المعاني الخاصة بحيث يكون للكلمة الواحدة معان متعددة ناشئة عن تلك التجربة(٢)، فكلمة (سيارة) على سبيل التمثيل تحمل معنى معجمياً واضحاً ومحدداً، بينما في التجربة العاطفية قد تأخذ معان متعددة ومتباينة، فالشخص الذي مر بتجربة عاطفية بسبب حادث مروري يمكن أن تمثل له السيارة معان ذات دلالات قاتمة كالموت والعجز والحزن، وذات الكلمة قد تحمل معان إيجابية لدى شخص آخر بحيث تحمل معان السعادة والحرية والانطلاق.

وهكذا تقوم التجربة العاطفية الفردية بتوسيع المعنى بدرجة لا يمكن تتبعها. وبخلاف التجربة العاطفية الفردية يمكن أن تكون العاطفة جمعية تختص بها أمة أو مجتمع دون آخر، وبالتالي فهذه العاطفة تسهم في

---

١) الاستعارة لهوكس، مرجع سابق، ص ٢٨.

٢) ينظر كولد جيرمان-ريمون لوبون، علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن (منشورات جامعة قان يونس-بنغازي-١٩٩٧م) ط١، ص٤٧.

تضييق المعنى وتوحيده، وعلى سبيل المثال يمكن النظر إلى التجربة العاطفية لأمة ما من خلال النظر لإحدى رموزها الدينية أو الوطنية.

وبخلاف التجربتين الثقافية والعاطفية تظهر التجربة الفيزيائية التي أخذت حيزاً واسعاً من جهود علماء اللسانيات الإدراكية، وأحيل عليها كثيرٌ من الاستعارات التصورية، فقوانين مثل الضغط، والحجم، والحركة، والجاذبية، ونوع المادة إلى غير ذلك من المسائل الفيزيائية قد أسهمت بشكل كبير في طريقتنا في التعبير، فالحجم على سبيل المثال يقوم بدور كبير في تصورنا للأشياء، فالظواهر ذات الأحجام الكبيرة جداً تثير في نفس البشر الرهبة والتخوف وذلك بسبب التباين الكبير بين حجم الإنسان مقارنة بها، وقد سوغ ذلك ظهور استعارات عديدة من مثل: اقتصادات ضخمة-شركات صغيرة-مشاريع عملاقة، فإذا ما انتقلنا إلى قوانين الحركة والسرعة وهي من القوانين الفيزيائية التي تشكل تصورات الإنسان حيال الأشياء، نجدها تؤثر بشكل كبير في التصورات البشرية ومن ثم التعبيرات التصورية، ومن أفرع قوانين الحركة قوانين القوة والاحتكاك والتباطؤ والتسارع والكمون والطاقة الكامنة والطاقة الحركية، وبالتالي لا عجب أن تظهر استعارات تصورية ناشئة عنها من مثل: سريع الفهم-بطيء الاستجابة-سرعة السوق-تباطؤ سوق المال-قوة الشركات. أما قوانين الجاذبية فقد أشار إليها (لاكوف) و(جنسون) إذ تؤثر تلك القوة على طريقة حركة الإنسان وانتصابه بحيث يكون رأسه للأعلى وقدماه إلى الأسفل(١)

١) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها، ص ٤٦.

وفي مثل هذا التشكل تأثير على تصور الإنسان حيث ينظر الإنسان إلى الظواهر التي تعلوه بنظرة تختلف عن الظاهرة التي تكون تحته، وقد أشرت إلى ذلك التأثير في مبحث الاستعارات العالمية والقطرية. أما إذا تجاوزنا ذلك إلى تأثير قوانين الفيزياء على سلوك الإنسان فإن ذلك المبحث سيأخذنا إلى مسائل أنثروبولوجية كبيرة الأهمية لم يغفل عنها العلماء منذ عصور قديمة.

فقد ناقش المفكرون تأثير الشمس والقمر والارتفاع والانخفاض عن سطح البحر، وتأثير حركة الرياح، وتعاقب الفصول، على الأرض عموماً ومن ثم على سلوك البشر وطباعهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في الحاوي قوله:" قال أبقراط: كل مدينة موضوعة بإزاء مشرق الشمس فإنها أصح لأن الحرارة والبرودة فيها أقل ... أمراضهم تكون أقل وأضعف... وكل مدينة على سمت المغرب تكون رطوبة هوائها باقية فيها كثيراً، وبشرة وجوه هؤلاء رطبة حسنة ... وأصوات رجالهم صافية حديدة"(١)،

وهذا النص على قدمه يثبت مدى تنبه القدماء لتأثير تلك الظواهر على سلوك الإنسان بتأثير قوانين الكون التي لا تخرج بحال عن قوانين الفيزياء.

٣- مبدأ الإسقاط الاستعاري

يعد مبدأ الإسقاط الاستعاري من المفاهيم الجوهرية في النظرية التصورية؛ ذلك أنه يبحث في الكوامن العميقة التي تدفع المتحدثين للربط بين المجالات الاستعارية، وبعبارة أخرى يفسر لنا الأسباب التي تتحكم في اختيار مجال استعاري دون غيره، ولماذا يختار المتحدث – على سبيل المثال– مجال الرحلة للتعبير عن الحب فتظهر استعارات الوداع والسفر

---

١) محمد بن زكريا الرازي، الحاوي في الطب، اعتنى به هيثم خليفة طعيني (دار إحياء التراث العربي–بيروت–لبنان–١٤٢٢–٢٠٠٢م) ج٤، ص ٤٢٢.

وافتراق الطرق والمحطات، والطرق المسدودة. ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الإسقاط الاستعاري بأنه" جملة من التناسبات التي تقوم بين المجالين عنصراً بعنصر، أو مكونا بمكون"(١) ومن متلازمات الإسقاط الاستعاري ما يسميه (لاكوف) توسيع الإسقاط بحيث يتسع لأكبر عدد من مفردات المجال المصدر (المستعار منه) (٢)، وقد مثَّل (الأزهر الزناد) لتلك التوسعات التي تطرأ على استعارة (الحياة رحلة) بحيث تظهر عدد من الاستعارات من مثل: الحياة دروب، الحياة معبر، الحياة شعب (٣) إلا أن تلك الأمثلة قد قصرت الإسقاطات على مستوى الكلمة ولم تنتقل إلى أمور أكثر تعقيداً كالصفات الكامنة في المجال المصدر من حيث خصائصه وحركته، يمكن التمثيل على ذلك بالبيت الشعري في معلقة امرئ القيس حين وصف الليل بقوله (٤): (من بحر الطويل)

فَقُلْتُ لَهُ لما تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدفَ أَعْجازًا ونَاءَ بِكَلْكَلِ (٥)

---

١) الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية (تونس، دار محمد علي للنشر-٢٠٠٩م) ط١، ص١٤٣.

٢) ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص ١٤٦.

٣) المرجع السابق، ص ١٤٦.

٤) ينظر: امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، (دار المعرفة-بيروت-١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م) ط٢، ص ٤٨.

(٥) البيت من معلقته، وهو يصف فيه الليل الذي طال عليه بعدما علم بمقتل أبيه، وقبله:

وليلٍ كَموجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدولَهُ عَلَيّ بِأَنْواعِ الهُمُومِ لِيَبتَلي

وقوله (تمطى) أي: تمدد، و(بصلبه) أي: بظهره، ويريد به وسط الليل، وقوله: (وأردف أعجازاً) أي: رجع بمؤخرته، و(نَاءَ بِكَلْكَل) أي تَهَيأ للرقود، فاستعار لليل وطول مروره عليه، وصف الجمل الذي جثم على الأرض، فجعل له صلباً، ومؤخرة وصدراً.

فالشاعر يسقط على الليل عدداً من الصفات التي يعرفها عن الجمل، حتى يكاد القارئ أن ينسى أن هذه الجملة جاءت في وصف الليل ثقله وبطئه وطول مدته.

كما يفسر لنا الإسقاط الاستعاري الدواعي التي دفعت المتحدث للتعبير عن الزمن بشيء يتحرك، فهذا الزمن الذي لا يدرك بالحواس يصعب التعبير عنه دون الاستعانة بالاستعارة الأنطولوجية فيصور باعتباره شيئا محسوساً يرى ويدرك، ويتم بناء على ذلك تصور الزمن على أنه شيء يتحرك، وهو ماثل أمام الذات المدركة إن كان الزمن حاضراً، فإن مضى فإنه تصوره يكون باعتباره شيئاً خلف الذات المدركة، أو واقعاً أمامها إن كان مستقبلاً وهذا التعليل يفسر كثيراً من أحاديثنا الاستعارية: لا تنظر وراءك، لا ترجع للوراء.(١).

ومن مبادئ الإسقاط الاستعاري مبدأ: (الثبات)(٢) وهو مبدأ أصيل في النظرية التصورية؛ وذلك أن أصحاب هذه النظرية يقصرون دراستهم على الاستعارات اليومية بعيدا عن تلك الاستعارات الإبداعية التي لا تحتكم بمبدأ الثبات، فالمبدع قد يرى في الأشياء علاقات قربى أو تنافراً فيقوم بالتقريب بينها، أو جمعها في جملة استعارية، أما في الاستعارات التصورية فإن الاستعارة لا تخرج عن الأحاديث اليومية التي يتحكم فيها العقل الجمعي وعندها يكون كل خروج عن المألوف عائقاً أمام عملية التواصل.

---

١) لمزيد من التفصيل عن استعارات الزمن ينظر استعارات الاستعارات التي نحيا بها، ص ١٥١.

٢) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها، ص ١٤٦

وإذا كانت النظرة الكلاسيكية للاستعارة تركز على أوجه التشابه في الجملة الاستعارية، فإن النظرية التصورية ترفض هذا التحليل وتجعل من الإسقاط الاستعاري" أمرا مغروساً في الذهن بحيث تتمثل الأشياء على أساس شيء آخر، وليس من الضرورة أن يكون بينهما مشابهة"(١) فاستعارات الحب رحلة لا تقوم على فكرة المشابهة بقدر ما تقوم على سيطرة هذا المجال وتغلغله في العقل الجمعي عند أمة بعينها.

٤- **مبدأ مخططات الصورة**:

قام أصحاب النظرية التصورية بعملية رصد لكل ما يكتنف الإنسان ويحدث أمامه بشكل دوري ومنتظم، بحيث تقوم هذه الظواهر بتشكيل تصوره بطريقة لا واعية، وعطفاً على ما سبق نجد (جونسون) يعرف مخططات الصورة بأنها" نمط ديناميكي متكرر في تفاعلاتنا الإدراكية وبرامج حركتنا، بحيث يخلق لتجربتنا تماسكاً وبنية"(٢)، حيث تمثل الخطاطات أداة تتوسط ما بين المدركات والمفاهيم(٣)، ومن أمثلة مخططات الصورة عند (جونسون) مخطط العمودية المعبر عنه اتجاهياً (فوق- تحت)(٤) فهذا المخطط متكرر في عدد كبير من مدركات الإنسان فرؤيته للأشياء تتشكل من خلال هذا المخطط فالجبل والشجرة والإنسان وأعمدة الإنارة والأبنية والعلامات الإرشادية تأخذ نفس التنميط (فوق–وتحت) وعليه فإن الإنسان يفكر ويتحدث ويمارس أنشطته متأثراً بهذا المخطط، وعلى سبيل المثال لا

---

١)الاستعارات التي نحيا بها، ، ص١٥٢-١٥٣

٢) الاستعارة والتجربة والعقل المتجسد، مرجع سابق ص ٢٣

٣) ينظر الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، مرجع سابق، ص٦٥.

٤) المرجع السابق، ص٦٦.

نتصور أن مدير دائرة حكومية قد يتخذ من الطوابق السفلى على سبيل المثال مقراً لإقامته، كما أن رفع العلم وتنكسيه يتم متأثراً بهذه الخطاطة، وهنا يلاحظ كيف أثرت هذه الخطاطة على نمط التفكير والسلوك عند الإنسان.

ومن الخطاطات ذات التأثير على تفكير الفرد خطاطة (الحاوي) وتتكون هذه الخطاطة من ثلاثة أجزاء هي: الحاوي، الداخل في الشيء، والخارج عنه(١)، وتلحظ خطاطة الحاوي في كثير من الظواهر الماثلة والمؤسسة للنسق التصوري. ومن ذلك حاجة الناس إلى السكن باعتبار البناء هو الحاوي الذي يوفر الحماية والرفاه والأمن، وقد تفرع عن ذلك بناء الحصون والقلاع والبنوك والخنادق والأسوار المنيعة والخزائن والمستودعات باعتبارها الملجأ الذي يهرع إليه الإنسان لطلب الحماية والحفظ والاستقرار، وهذه الخطاطة لا تظهر على سلوك البشر فحسب بل تتعدى ذلك إلى عالم الحيوان، حيث تلجأ الحيوانات لبناء بيوتها وأوكارها طلباً للحماية وتخزين الأطعمة إلى غير ذلك من الفوائد التي يوفرها الحاوي.

أما عن المعاني الدلالية المترتبة على كل جزء فتختلف باختلاف نوع الحاوي، فبقاء الذهب في الصندوق يعني الحماية والحفظ، والزج بالمجرمين في السجون يعني الألم والحرمان وكذا حفظ المجتمعات من تعدي الضرر الناتج عن تصرفاتهم، وإذا كان الحاوي هو المنزل فإنه يحمل من الدلالات الإيجابية بقدر نظر الناس إلى أهمية المسكن.

---

١) الاستعارة والتجربة والعقل المتجسد، ص٢٦

ومن هذه الخطاطة يقوم الإنسان بتوسيعها لتشمل أبعاداً أرحب؛ فيعبر عن الوطن وعن الحكومة منطلقاً من هذه الخطاطة، فتشيع بناء على ذلك مصطلحات من مثل: (الوطن في قلوبنا) حيث يتصور الإنسان أنه هو الحاوي الكبير الذي يحتضن هذا الوطن ويحميه من كل عدو خارجي، ومثل ذلك ما أشار إليه (الحراصي) من مثل قولهم: خرج عن القانون، وعلى السلطان، وعن الجماعة (١).

وكأن الوطن أو القانون هو الحاوي الذي ينبغي البقاء داخل حدوده، وأن كل فعل لا يتفق مع إرادته بمثابة الخروج عن شيء هو بمثابة الأمان والحماية، وترى (إيلينا) أن استعارة الوعاء قد قامت بدور كبير ومركزي في النصف الثاني من القرن العشرين، لاسيما في مجال العلاقات الدولية، حيث يكون تصور الأمن بمفرداتٍ مؤسسةٍ على خطاطة الاحتواء تم فيها تصور الدول باعتبارها أوعية منفصلة تقدم الحماية لمن هم بداخلها، كما ينبغي حمايتها من أي عدوان خارجي.(٢)

ومن الخطاطات المهمة والمشكلة للتفكير الإنساني (خطاطة الدورة) فثمة دورات متكررة في حياة الإنسان تتكرر أمامه منذ ولادته إلى حين مماته (٣) فدروة القمر والأرض والحياة والدورة الدموية، إلى غير ذلك من الدورات التي تنمط طرق التفكير، ومن ثم تظهر على هيئة ألفاظ وأنشطة عملية، وقد أدت هذه الخطاطة إلى ظهور عدد من الاستعارات في كثير من المجالات كقولهم: اقصاد فتي، دولة ناشئة، اقتصادات وليدة، سند صغير،

---

١) ينظر: الاستعارة والتجربة والعقل المتجسد ص ٣٣.

٢) الاستعارة في الخطاب، مرجع سابق، ص٢١٧

٣) الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية،٦٨

عجز الموازنة، فكرة طفولية، شيخوخة الدول. حيث تنتمي تلك الخطاطات إلى دورة حياة الإنسان، وفي غير ألفاظ الاقتصاد نجد هذه الخطاطة كامنة في العقل البشري فقد جاء في تهذيب اللغة: شباب النهار أوله (١)، وفي خطابات (بيكون) في القرن السادس عشر حيث ينطلق من هذه الخطاطة بقوله: "وفي شباب الدولة تزدهر الأسلحة، وفي وسط عمر الدولة، تزدهر المعرفة، ثم تزدهر الأسلحة والمعرفة كلتاهما معاً لفترة من الزمن، وفي عصر اضمحلال الدولة تنتعش الأعمال التجارية والتجارة"(٢)، ومن خصائص خطاطة الدورة أن لها حدوداً زمنية شديدة الصرامة.(٣)

ومن الخطاطات المهمة تظهر (خطاطة الربط) حيث تمثل ظاهرة الأشياء المترابطة تأثيراً على تفكير الإنسان(٤) ومن أمثلة المدركات المتشكلة بناء على خطاطة الربط ما يلاحظ في تصميم بعض الآلات، حيث اعتمد الإنسان قديماً على هذه الخطاطة في وثاق فرسه، وتثبيت أطناب خيمته، وتعقيل إبله، وصناعة الأسلحة، وأدوات الطبخ، وبناء المنازل ... مما جعل هذه الخطاطة حاضرة في الفكر الإنساني ودالة على الثبات والتماسك والتضام والترابط، ومن ثم تتفرع إلى معان دلالية مجردة كالاتحاد والقوة والانسجام والألفة إلى غير ذلك من المعاني الدلالية ذات الإيحاءات الإيجابية.

---

١) محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي-بيروت-٢٠٠١م) ط١، ج٦، ص ١٨٧.

٢) قصة الحضارة، ج٢٨، ص٢٦٧.

٣) ينظر: الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص ٦٨.

٤) المرجع السابق، ص ٦٩.

ومن هذا الباب – على سبيل التمثيل– جاء مصطلح الرباط الدال على ملازمة الثغور، وكأن الجنود قد ربطوا في مكانهم وثبتوا (١) ثم توسع الأمر إلى استعارت عدة من مثل رابطة العالم الإسلامي، وروابط الأسرة، وروابط الحب، إلى غير ذلك من المصطلحات المؤسسة على هذه الخطاطة.

ومن الخطاطات المهمة في تشكل التصورات البشرية (خطاطات الميزان) إذ هي من أهم الخطاطات التي تنظم حياتنا، وتشكل تجربتنا الحياتية، ويمكن تعريف التوازن بأنه ذلك النشاط الذي نتعلمه عن طريق أجسادنا ويتمثل في محاولات الوقوف والاتزان من خلال عمليات معقدة ومترابطة ما بين الجسد والمحيط الخارجي(٢). إن هذه الخطاطة هي التي تدفع الإنسان للاتزان في شتى مجالات حياته، في مجال الطعام والشراب، والعلاقات، وفي تنظيم وقته، وطرق إنفاقه، ومن ثم تفرعت هذه الممارسات إلى أمور أكثر تجريداً، ومن ذلك قولهم: مال عن الحق، وميزان القوى، ومن معاني الميل عند الأزهري: الزيغ، والقسوط والفجور والجَنَف(٣)، ويقابله الاتزان والتوازن، ومتى ما سقط هذا القانون عمت الفوضى، وكسر" الميزان، وأخذت المعايير بالأيدي"(٤)، وفي ألفاظ الاقتصاد تشيع ألفاظ مؤسسة على هذه الخطاطة من مثل: توازن القوى، ميزان الدفع، ميزان

---

١) ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (دار الفكر،١٣٩٩م) ط١، ج٢، ص٤٧٨.

٢) ينظر: الاستعارة والتجربة والعقل المتجسد، ص٦٦

٣) ينظر: تهذيب اللغة، ج١١، ص٣٦، ٧٦، ٧٧

٤) عمرو بن بحر الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا (المطبعة الأميرية– القاهرة–١٤١٤م) ط١، ص١٠٠.

تجاري، إلى غير ذلك من الاستعارات التي سأتحدث عنها في موضعها من هذا البحث.

وهكذا تظهر الخطاطات منمطةً لتفكير الإنسان، ومشكلة له، فهو شديد التأثر بكل ما يكتنفه من ظواهر وأحداث، وبالتالي تؤثر على طريقة تصوره للأشياء لكونها تأتي "سابقة للمفاهيم، بمعنى أن وجودها يسبق وجود المفاهيم التي تقوم عليها من خلال الاستعارة"(١)

المبحث الثالث: تجليات الاستعارة لدى علماء اللسانيات الإدراكية

تعنى النظرية التصورية بالاستعارة عناية فائقة؛ وذلك أنها تنظر إليها باعتبارها أداة يستعان بها لفهم العالم من حولنا، فالاستعارة بحسب (مايكل ريدي): " جزء رئيسي ولا غنى عنه من طريقتنا الاعتيادية العرفية لمفهمة العالم"(٢)، وعلى أساس هذه المقولة فإن أهم ما يخرج به المؤلف والقارئ هي تلك التعميمات التي يقوم بها علماء اللسانيات الإدراكية أثناء تحليلهم للاستعارة، والخروج بعدد من النتائج على مستوى الكلمة والجملة والنص، ومن ثم توسيع الدائرة للبحث خلف المسببات الثقافية والإيديولوجية والنفسية وراء أي تكتل استعاري، وعلى سبيل المثال فإن دراسة الاستعارة دراسة تصورية على أي حقل من حقول المعرفة يوصلنا إلى نتائج أكثر عمقاً في حال لو درست الاستعارة وفق القواعد الأسلوبية التقليدية، وعليه فإنه يمكننا أن ندرس الفكر عن طريق قناة الاستعارة، ومن هنا فإن النظرية التصورية يمكن أن تجيب عن السبب الكامن خلف كل تعبير الاستعاري

---

١) ينظر: الاستعارة والتجربة والعقل المتجسد، ص٢٦.

٢) جورج لاكوف: النظرية المعاصرة، ترجمة: طارق النعمان (مكتبة الإسكندرية – ٢٠١٤م– الإسكندرية) ط١ ص ٩.

متكتل في حقل الحيوان-على سبيل المثال- بين مجتمع وآخر، كما أنها تبحث عن الجوانب النفسية التي تدفع بأحد الكتاب إلى الإكثار من استعارة المرض أثناء حديثه عن حقل الاقتصاد، وفي هذه الحالة " يمكن رؤية الاستعارات المفهومية التقليدية بوصفها جزءاً مهماً من سلسلة المعتقدات المشتركة، أو الإيديولوجيا التي تسم جماعة اجتماعية معينة ... ومن منظور نظرية الاستعارات المفهومية فإن العديد من تلك التمثيلات الذهنية يتم بناؤها عبر استعارات مفهومية"([1]).

لقد دفعت تلك الطريقة في دراسة الاستعارة إلى حفز الباحثين إلى اقتناص التعابير الاستعارية ودراستها دراسة تصورية للخروج بعدد من النتائج في مجال الفكر وعلم النفس والأنثروبولوجيا إلى غير ذلك من العلوم المتفرعة والمتآزرة مع الدرس اللساني، ومن تلك البوابة انطلقت (سوزان سونتاج) إلى تلمس الاستعارات المنضوية خلف مرضي السل والسرطان، والبحث عن المسببات العميقة في التعبير بذينك المرضين دون سواهما.([2]).

ولعل أكبر ميزة تقدمها النظرية التصورية في دراسة الاستعارة تلك القفزة المنطقية في دراسة الاستعارة خارج حدود الرمز اللغوي، فإذا كانت الاستعارة ظاهرة ذهنية، فإن كل نتاج بشري ثقافي متحقق عن طريق الاستعارة كذلك، فالبناء المرتفع، والشواخص، والحصون، والتماثيل، والأوسمة، ومكان بناء المنازل يتحقق عن طريق الاستعارة، وعليه فإننا

---

١) إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف، وخالد توفيق (المركز القومي للترجمة-٢٠١٣-القاهرة) ط١، ص٨٢.

٢) ينظر سوزان سونتاج، المرض كاستعارة، ترجمة حسين الشوفي (دار المدى- بغداد- ٢٠٢١) ط١، ٣٥.

نستطيع الحصول على الاستعارة من خلال النظر إلى كل ما سبق للحصول على استعارة تصورية فكرية.

وعلى سبيل المثال يمكن إدراك تفاخر العربي قديماً ببناء منزله في الأماكن المرتفعة إلى الاستعارة التصورية (الأفضل أعلى) حيث تأخذ فكرة العلو مكانة سامية في التصور البشري، كما أن الاستعارات التصورية تفسر لنا السبب الكامن خلف ارتداء الأطباء للون الأبيض، فهو في حقيقة الأمر استعارة تصدر من تصورات الإنسان الإيجابية للون الأبيض وما يعكسه من ظلال النقاء والصدق والإخلاص والنزاهة. ومن ذات المنطلق ندرك: لم اختار الاقتصاديون اللون الأخضر للأسهم في حال تحقيق الأرباح واللون الأحمر في حال وقوع الخسائر. فالنظرة التصورية حيال الألوان هي المسبب الأول لتلك الاستعارات. وبتلك الآلية تتآزر اللغة المنطوقة مع اللغة غير المنطوقة، فالإشاريات على سبيل المثال تصدر عن استعارت تصورية، فرفع اليد إلى الرأس، أو وضعها إلى الصدر ما هو إلا تعبير استعاري ناشئ عن تصور بشري لمكان الرأس والصدر من جسم الإنسان، وبالتالي تصنف على أنها استعارات اتجاهية ذات دلالات عميقة وأولية في التصور الإنساني.

الخاتمة

عنيت هذه الورقة بدراسة الاستعارة لدى علماء اللسانيات الإدراكية مبينة جوانب تحققها، ومدى اتساعها، كما أنها تؤكد على أن علماء اللسانيات الإدراكية لا ينظرون إلى الاستعارة من منطلق ثنائيات الحقيقة والمجاز والأصل والفرع، يتجلى ذلك من خلال تفريقهم الدقيق بين الاستعارات الشعرية الفرادية التي لا تكون تصوراً، وبين الاستعارات اليومية التي تؤسس على نطاق الجماعة ويمكن إدراكها مباشرة بمجرد النطق بها. وهذا التفريق يخرج كل استعارة شعرية عميقة وذاتية فهي ليست داخل حدود الاستعارات التصورية، كما أنها تعمل وفق مبادئ مترابطة ومتعاضدة، وتنص على أن الاستعارة حدث يومي يتجاوز الرمز اللغوي إلى كل نشاط إنساني، وعليه يمكننا قراءة الاستعارة في اللغات الميتة من خلال قراءة الأيقونات والتماثيل ومظاهر الحضارة، وهكذا تثري اللسانيات الإدراكية الدرس الاستعاري، وتعيده إلى مكانه الطبيعي باعتباره جزءاً لا يتجزأ من اللغة، ووسيلة للفهم والإدراك وليست ترفاً لغوياً يقوم به البعض دون البعض الآخر.

قائمة المصادر والمراجع

- أرسطو. فن الشعر، ترجمة إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الأزهري، محمد بن أحمد (٢٠٠١م) تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- إيلينا سيمين، (٢٠١٣م) الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف– خالد توفيق، ط١، المركز القومي للترجمة––القاهرة)
- بارت، رولان (١٩٩٣م) درس السيميلوجيا، ترجمة عبد السلان بنعبد العالي، ط٣، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد (١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)، ط٣ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، مؤسسة الريان للطباعة والنشر.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (١٣٩٩م) مقاييس اللغة، ط١تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.
- بول ريكور(٢٠١٦م) الاستعارة الحية، ترجمة محمد الولي ط١ دار الكتاب الجديدة المتحدة–.
- جاكبسون، رومان، موريس هالة ترجمة سعيد الغانمي (٢٠٠٨م) أساسيات اللغة، ط١، المركز الثقافي العربي.
- الجرجاني، علي بن عبد العزيز، (١٩٦٦م) الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي.
- الجاحظ، عمرو بن بحر (١٤١٤هـ) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا المطبعة الأميرية–القاهرة–

- جيرمان، كولد –ريمون لوبون (١٩٩٧م) علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن (منشورات جامعة قان يونس)–بنغازي– ليبيا.
- الحراصي، عبد الله. (٢٠٠٢م) دراسات في الاستعارة المفهومية ط١،(مؤسسة عمان للصحافة والنشر.
- دي سوسير (١٩٨٥م) فصول في الألسنية العامة، ط١ تعريب صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة الدار العربية للكتاب.
- الرازي، محمد بن زكريا (١٤٢٢–٢٠٠٢م) الحاوي في الطب، اعتنى به هيثم خليفة طعيني، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان
- ريتشاردز، أيفور (٢٠٠٢م) فلسفة البلاغة، ترجمة سعيد الغانمي، وناصر حلاوي، ط١، الدار البيضاء: أفريقيا للشرق.
- زكريا، ميشال (١٩٩٣م) قضايا ألسنية تطبيقية دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، ط١، بيروت: دار العلم للملايين.
- الزناد، الأزهر، (٢٠٠٩م) نظريات لسانية عرفنية، ط١ ، تونس، دار محمد علي للنشر.
- سمينيو، إيلينيا (٢٠١٣م) الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف، خالد توفيق، ط١: المركز القومي للترجمة، مصر.
- سوزان سونتاج، المرض كاستعارة، ترجمة: حسين الشوفي ط١، (دار المدى– بغداد–٢٠٢١)
- كوهن، جان (١٩٨٦م) بنية اللغة الشعرية ، ترجمة محمد الولي، ط١، المغرب: دار توبقال للنشر.
- كون، توماس (١٩٧٣م) بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، ط١، الكويت: عالم المعرفة.

- لحويدق، عبد العزيز(١٤٣٦هـ)، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف، ط١، المغرب: كنور المعرفة.
- لاكوف، جورج، جونسون، مارك (٢٠٠٩م) الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، ط١، دار توبقال للنشر، المغرب.
- لاكوف، جورج._(٢٠١٤) ترجمة طارق النعمان النظرية المعاصرة، ط١، مكتبة الإسكندرية –الإسكندرية.
- مركيش، أرشيبالد (١٩٦٣م) الشعر والتجربة، ترجمة سلمى الجيوسي، ط١، مؤسسة فرنكلين للطابعة والنشر، بيروت.
- هوكس، الاستعارة، ترجمة عمرو زكريا، ط١، (المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦م)
- Lifen Gao. A Comparative Study of Conceptual Metaphors in English and Chinese

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٧٨٣
٢-	Abstract	١٧٨٤
٣-	مقدِّمة:	١٧٨٥
٤-	مدخل:	١٧٨٨
٥-	المبحث الأول: مفهوم الاستعارة عند اللسانيين.	١٧٨٩
٦-	المبحث الثاني: مفهوم الاستعارة عند علماء اللسانيات الإدراكية.	١٧٩٥
٧-	المبحث الثالث: مبادئ تأسيس الاستعارات التصورية عند علماء اللسانيات الإدراكية	١٨٠٤
٨-	الخاتمة	١٨٢٢
٩-	قائمة المصادر والمراجع	١٨٢٣
١٠-	فهرس الموضوعات	١٨٢٦